

من "استراتيجية التلام" إلى "سيف القدس"

من
«استراتيجية التلام»
إلى «سيف القدس»

عبدالرحمن نصار



ينشر موقع IR.KHAMENEI الإلعامي مقالاً للصحافي عبد الرحمن نصار يحمل عنوان "من استراتيجية التلام، إلى سيف القدس". وفي مقاله يسلط الكاتب الضوء على الآثار الميدانية للكلمة التي ألقاها قائد الثورة الإسلامية في خطابه باللغة العربية في يوم القدس ولاحقاً في الرسائل التي وجهها سماحته إلى الشعب الفلسطيني وقادرة المقاومة الفلسطينية، والتي بشر فيها الإمام الخامنئي الشعب الفلسطيني بالنصر المحمّد شرط تلام جبها لهم، مؤكّداً أنَّ العدوَ الذي كان لا يُفهر يوماً، بات عدوًّاً لن يذوق طعم الانتصار.

الكاتب: عبد الرحمن نصار

لا تغيب النظرة الثاقبة للثورة الإسلامية في إيران بدءاً مما فعله الإمام الخميني (قده)، حين ربط الثورة ومستقبلها بفلسطين، وصولاً إلى الدور الحالي لسماعة الإمام الخامنئي، في توفير سبل الدعم

والتمويل والتسلیح وحتى القيادة بعنوانها التوجیهي والإرشادی، عن النتائج التي يصنعها الفلسطينيون اليوم. الساحة الفلسطينية بشتا تھا ومكوناتها - المتناقضة أحياناً - تؤکد هذه الحقيقة: لولا محور المقاومة الیوم، ما كان للمقاومة أن تقف على رجلیها (أولاً) ولا أن تؤذی الكیان الصهیوني وتذلّه (ثانياً). هذا لا ينقص في أي حال - بتأکید المحور وأهل القضية أنفسهم - الدور الأساسی للشعب الفلسطيني الذي يضھي ويقدّم أغلى ما يملك دون أن ينتظر أحد، وحتى لو تخلى عنه العالم کله. ثمة نقطة أخرى لا بد من التشدید عليها: الفلسطينيون لا يقاتلون بالوكالة عن أحد؛ هم يقاتلون بالأصللة عن أنفسهم وعن كل حرٌّ يرفض أن تبقى ما تُسمى «إسرائیل». وفي تحصیل حاصل، من يقف معهم ويساندهم هو بالدرجة الأولى يدافع عن نفسه وعن الفلسطينيين والأمة کكل. وعندما تناح الفرصة لبقیة مكوّنات الأمة لکي تقاتل الكیان الصهیوني، لن يتأخروا.

على أي حال، لقد مثّل «يوم القدس العالمي» هذا العام دافعاً أساسياً في حشد الشعب الفلسطيني لمعركة «سيف القدس» الأخيرة. وتزامن الیوم الذي أطلقه الإمام الخمیني منذ عقود مع هجمةٍ صهیونية شرسة، رسمية واستیطانية، أرادت قطف الثمار مما منحته الولايات المتحدة الأمريكية بلا أدنى حقٍّ قبل أن يرحل ذلك المجنون الذي أظهر جزءاً بسيطاً من الوجه الأمريكي الحقیقی، دونالد ترامپ. في «يوم القدس» من الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الماضي، دعا الإمام الخامنئی في خطاب وجّهه جزءاً منه باللغة العربية، ولھذا دلالته الكبیرة، دعا الفلسطينيين، سواء في غزة أو القدس أو الضفة أو أراضی 1948 أو المخيّمات، إلى «أن يشكّلوا بأجمعهم جسداً واحداً»، مضیفاً: «ينبغي أن يتّجهوا إلى إستراتيجية التلامح، فيدافعُ كلُّ قطاعٍ عن القطاعات الأخرى، وأن يستفيدوا حينَ الضغطِ على تلك القطاعات من كلٍّ ما لديهم من مُعدّات» (1).

لم يتأخر شعبنا كثيراً عن الاستجابة لهذه الدعوة نظرياً وعملياً، بغض النظر عن كون الاستجابة ضمنية أو مباشرة. وقبل كل شيء، تدلّ هذه الدعوة على نفاد البصیرة وحسن التقدير وصواب التشخيص والقراءة الدقيقة والمبقة لمسار الأحداث والاقتراب الحقیقی من الفلسطينيين. فلقد هز «تلامح الجبهات» الكیان الصهیوني على نحو أقلق وجوده - باعترافه - أكثر من الواقع المیداني الذي خلقته معركة «سيف القدس»، والأخیرة أيضاً لا تقلّ أهمية في دلالتها الحالية والمستقبلية. حتى قبل أن تندلع المواجهة العسكريّة، قال الإمام الخامنئی في الخطاب نفسه كأنه يرسم صورة المعركة ونتائجها: «إنَّ الأمل في

النصر اليوم أكثر مما مضى؛ موازينُ القوى تغيرت بقوّة لمصلحة الفلسطينيين. العدوّ الصهيوني يهبط إلى المضّعف عاماً بعد عام، وجيشهُ الذي كان يقول عنه إنّه "الجيش الذي لا يُقهر" هو اليوم... قد تبدّل إلى "جيشٍ لن يذوق طعم الانتصار" (2). وفعلاً هذا ما حدث: لم يذق العدو طعم الانتصار ولم يتجرأ أصلاً على طرق أبواب غزة، بل هرب كيلومترات داخل فلسطين، بل من مفارقات هذه الحرب أن الصواريخ الفلسطينية التي موّلتها إيران وساهمت في تعليم الفلسطينيين تطويرها، وفي أحياناً أخرى صنعتها، ضربت خطّ الأنابيب (3) الذي بناه الشاه المخلوع والهارب، محمد رضا بهلوى، في ستينيات القرن الماضي، وأشعلت فيه النيران لأيام.

لذلك، من كان يريد قبل المعركة بأيام أن يعرف واقعها والنتيجة المستقبلية لها ولهذا المسار الذي افتتحه الفلسطينيون بدمائهم ومقاومتهم، فليكمل القراءة لذلك الخطاب جيداً: «إن العدّ التنازلي للكيان الصهيوني، وتصاعد قدرات جبهة المقاومة، وتزايد إمكاناتها الدفاعيّة والعسكريّة، وبلغت الاكتفاء الذاتي في تصنيع الأسلحة المؤثّرة، وتصاعد الثقة بالنفس لدى المجاهدين، وانتشار الوعي الذاتي لدى الشباب واتساع دائرة المقاومة في جميع أرجاء الأرض الفلسطينيّة وخارجها، والهبة الأخيرة للشباب الفلسطينيين دفاعاً عن المسجد الأقصى، وانعكاس أصوات جهاد الشعب الفلسطيني ومظلوميّته في آنٍ واحد لدى الرأي العام في كثير من بقاع العالم... كلّها تُبُشر بـ«بغداد شرق» (4). فما هذا الغد المشرق ومتى وكيف؟ إنها أسئلة ستجيب عنها السنوات القليلة المقبلة، وسيحمل الفلسطينيون ومعهم جبهة المقاومة كلها مسؤولية إجاباتها على عاتقهم. ثم لما قررت المقاومة المسلحة أن تأخذ دورها بعد مرور شهر على تصاعد المقاومة الشعبية في القدس والمضفة وأراضي عام 1948، اندلعت «سيف القدس»، وازدادت الجبهات كافة اشتراكاً داخل فلسطين وخارجها، وباتت كلمة التحرير التي حاول كثيرون تغييبها أو جعلها في إطار الأحلام كلمة تتردد على ألسنة الأطفال قبل الكبار.

خلال المعركة سارع قادة الفصائل الفلسطينية من سياسيين وعسكريين إلى التواصل أولاً مع المسؤولين السياسيين والعسكريين في الجمهورية الإسلامية كافة، ثم ردّ عليهم أولئك برسائل واتصالات تصدّرت أخبارها وسائل الإعلام. كانت الرسائل الأبرز موجّهة إلى سماحته، وهو لم يتأخر في الرد عليها، مبشّراً بالنصر ومؤكداً أن «قلوبنا حاضرة في ساحة نضالكم، ودعاؤنا دائمٌ من أجل دوام

انتصاراً لكم» (5). ولأنه قائد، لم يتأخر في مخاطبة الشعب الفلسطيني برسالة مباشرة عقب وقف العدوان الصهيوني في غزة، مرفقاً معها توصيفاً دقيقاً لما جرى وتأكيداً لنظرية «تلحرم الجبهات»، حين قال: «إن الشعب الفلسطيني خرج مرفوع الرأس قوياً من ابتلاء الأيام الأخيرة. فالعدو الوحشي المفترس أدركحقيقة ضعفه في مواجهة المقاومة الفلسطينية الشاملة... تجربة التعاون بين الفلسطينيين في القدس والضفة وغزة وأراضي الـ 48 والمخيomas رسمت آفاق المستقبل للفلسطينيين» (6). سريعاً تلقى هذاالمضمون وتوكّل تطبيقه العملي طرفاً: المقاومة الإسلامية في لبنان، والفصائل الإسلامية والوطنية في فلسطين نفسها. لقد تتابعت الكلمات بعد خطاب القائد مع إقرارها بتطبيق واسع لمضمون هذا الخطاب. فمن جهة، وسّع الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، اقتراح «تلحرم الجبهات» داخل فلسطين إلى تلامحها خارج فلسطين أيضاً، وذلك بقوله إن «المعادلة التي يجب أن نصل إليها: (المساس بـ) القدس يعني حرباً إقليمية» (7)، منبهاً إلى أن الصهيوني سيفهم أن «أي خطوة من هذا النوع ستكون خطراً على كيانه لأن نهاية أي حرب إقليمية، إذا حصلت ضمن معطيات الواقع الصهيوني وضمن واقع المنطقة وحركات ودول محور المقاومة، نتيجتها - في رأيه - زوال الكيان». وبعد يوم واحد في غزة، أكد المعادلة نفسها قائد حركة «حماس» في غزة، يحيى السنوار، بإشارته إلى ما اقترحه السيد نصر الله، وقوله مجدداً: «أي مساس بالقدسات سيعني حرباً إقليمياً... كل قوى أمتنا الحية وقوى المقاومة ستكون في المعركة المقبلة إذا نادتنا المقدّسات» (8).

هذه المعادلة وضع أسسها الإمام الخامنئي حينما أكد في خطاب «يوم القدس» أن «هذا المستقبل المبارك يتطلب أن يكون التكامل بين البلدان الإسلامية هدفاً محوريّاً وأساسياً، ولا يبدو ذلك بعيد المنال»، وأن يكون «محور هذا التكامل قضيّة فلسطين كلّ فلسطين، ومصير القدس الشريف»، عارفاً أن «تكامل المسلمين حول محور القدس الشريف هو كابوس العدو» الصهيوني وحmate الأمريكيين والأوروبيين، ليبشرُ أن «هذه المساعي سوف تبوء بالفشل»، وأن «الخط» البهائي الانحداري باتجاه زوال العدو» الصهيوني قد بدأ ولن يتوقف» (9). إلى حين ذلك، لا بد من العمل على تفعيل مقترن «الاستفتاء الشعبي» الذي طرحة قائد الثورة الإسلامية، وهو مشروع يحتاج إلى إطار عملية لتطبيقه، ويجب أن تكون هذه الأطر الفلسطينية قبل أن تكون عربية أو إسلامية أو عالمية.

1- من خطاب لسماحته في 07/05/2021.

2- المصدر السابق.

3- كان الهدف منه نقل النفط من إيران تحت حكم الشاه إلى ميناء «إيلات» الصهيوني على خليج العقبة، ثم ينقل النفط إلى ميناء عسقلان على البحر المتوسط، ومنه إلى أوروبا والولايات المتحدة.

4- المصدر السابق.

5- من رده على رسالتي رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» والأمين العام لـ«الجهاد الإسلامي» في 24/05/2012.

6- من «رسالة إلى شعب فلسطين إثر انتصاره على الكيان الصهيوني في حرب الاثنين عشر يوماً»، وصدرت في يوم وقف العدوان نفسه، 21/05/2012.

7- من خطاب لسماحته في ذكرى تحرير جنوب لبنان في 25/05/2021.

8- يمكن الحصول على نص الكلام للسنوار من موقع إخبارية.

9- مقتطفات من خطاب لسماحته في 07/05/2021.